هو.. هي.. هو (*)

(*) نشرت في جريدة "العراق" في ٢٠-١٢-١٩٨٨ بعنوان "هل تخضر الجذوع"

الشخصيات

- هي: سيدة جميلة مطلقة
- هو: زوجها السابق.
- هو: خطيبها.
- الطبيب: طبيب العائلة.

[حديقة منزلية منسقة، تؤطرها شجيرات الاس، المتشابكة العالية، بعـــض الشيء بضعة جذوع لاشجار مقطوعة، مصبوغة، مستخدمة كحوامـــل لأصـــص خزفية، في بعضها زهور وفي بعضها نباتات متسلقة.. الخ..

البيت يرتفع عن الحديقة ببضع درجات فسحة مناسبة. ثم بـــاب مـــوارب، شباك عريض يطل على الحديقة ستائر رقيقة شفافة، تخترقها اشـــعة الشـــمس. فتلقى اضاءة مشرقة تكشف الغرفة ومحتوياتها بوضوح.

انها غرفة انيقة مطلية بلون فستقي، مقاعد مريحة بلون زيتوني. لوحـــات زيتية، مكتبة مزدانة بالكتب فوقها مزهرية. زهور قرنفل بيضاء، فـــي الزاويـــة القريبة من الحديقة منضدة صغيرة فوقها جهاز هاتف. مذياع بجانب المكتبة ثمـــة لعب اطفال، مبثوثة هنا وهناك.. الخ..

هي؛ سيدة في حدود الثلاثين ذات جمال ورشاقة بملابس العمـــل المـــنزلي سروال اسود ضيق بلوزة خضراء فاقعة، تقص ذوائب شـــجيرات الاس تشـــذب اغصان الزهور، ترتب باقة ورد. يبدو عليها الشرود وانشغال الذهن، ربما بسـبب انسجامها مع عملها او بسبب انشدادها إلى الموســيقى الهادئـــة المنبعثـــة مـــن المذياع من الغرفة والمنسابة عبر النافذة. يرن جرس الهاتف، فيطغى على انغـــام الموسيقى تضع باقة الزهور فوق شجيرات الاس تلقـــي بـــالمقص تســـرع إلـــى الداخل. بخفة وبلا صخب. حريصة ان لا تحدث أي ضوضاء. تفتح بابا مواجـــها للجمهور بحذر. تلقي نظرة سريعة داخل الغرفة. لا تدخلها. تطمئن إلى امـــر مـــا فيها.. تغلق الباب ثانية.. تتوجه نحو الهاتف.. بالامكان رؤيتها. بكل انفعالاتـــها

وحركاتها عبر الستائر الرقيقة وكذلك سماع صوتها بوضوح تام]

* * *

هي: الو.. نعم؟ من؟ جلال؟ اهلا.. اهلا وسهلا. لحظة جلال لحظة واحدة. صوت الراديو عال. لا اسمعك بصورة جيدة (تضع السماعة جانبا تذهب الى المذياع تخفض صوته، تعود تسحب كرسيا قرب الهاتف. تجلس) مساء الخير.. كيف حالك.. ا. شكرا.. بخير.. بخير.. اجل.. اجل.. اسمعك بوضوح.. طبعا.. طبعا.. عرفت صوتك.. لا.. لا.. لا. تسرح بخيالك بعيدا (تضحك) فقط لانه ليس ثمة من يخابرني الى البيت سواك.. اجل.. اجل.. انت الوحيد.. ها؟ ما الذي يحدث لي عند أسمع صوتك؟.. يا له من سؤال.. حسنا.. حسنا.. اهتز مثل مراهقة يداهمها الحب للمرة الاولى وعلى حين غفلة.. ها ها ها لا.. لا.. كنت مكتئبة بعض الشيء ها الان؟ الان طارت كآبتي.. تلاشت احترقت في حرارة صوتك ونبراته النارية؟ انا؟ انا الاخرى احترق ولكن كالعنقاء.. كلما احترقت انبعثت من جديد.. لاحترق مرة اخرى.. واعود اكثر اصرار على الاحتراق.. ها.. شاعرة.. من؟ انا؟ انا شاعرة؟ يا لك من كذوب حبوب.. ها صوتي وما بال صوتي هو الاخر؟ نعم؟ يشبه صوت فيروز؟ فيروز مرة واحدة؟ اتقي الله يا رجل.. اوه.. اوه.. كفاك مجاملة اني لصوت مخلوق أي مخلوق كان. ان يبلغ بعض تلك المرتبة الملائكية التي تتبوؤها القديسة فيروز، بعذوبة صوتها ورقته. ناهيك عن صوتي الشبيه بصوت فقيدنا الكبير علي مردان في ايامه الاخيرة بشكل محدد ها؟ اوه لست مطالبا ان تنافق على هذا النحو الفظيع. نعم؟ اذن اعرف ان ابغض ما بي إلى نفسي هو صوتي.. ورحم

الله امرأ عرف قدر نفسه وقدر صوته.. بالله ليكن كما تحب، كما تحـــب.. يمكن ان يكون نقيق الضفدع مثل تغريد البلبل في اذن الحبيـــب (تضحــك بطلاقة، وكمن تتذكر امرا تكبت ضحكتها محاولة ان لا تدعها تعلــو) هــا؟ وضحكتي سمفونية؟ اذن فانت لا تعرف ما هـــي الســمفونية اساســا. ولا تحترمها ناهيك عن تذوقها، اوه كفى كفى بالله عليك لا تهن هؤلاء العباقرة الخارقين بهذا الشكل الممل المنفر، اوه.. اوه.. يا لك من مجامل شنيع هــا الا تسمعني؟ اقول (ضاحكة) انت مجامل بلا ضمير لا.. لا.. تسمعني حقــا ام تصم اذنيك عن سماع ما لا يسرك؟ لا.. لا.. لا استطيع ان ارفع صوتــي اكثر (تضع يدها على فمها كمن تخشى ان يسمعها احد في البيت) وممــــن اخاف يا رجل؟ لا لا انها شلير اجل.. اجل.. لم يغمض لها جفن الا اليوم لم تغادرها هذه الزائرة الثقيلة. تجثم على هيكلها الهش الرقيق مثل الطنطــل، تعصرها.. وتجعلها تسيح عرقا.. حتى تكاد تغرق في بحر مـــن العــرق.. طبعا.. طبعا وهل اتركها بلا طبيب؟ هو هو الطبيب نفسه، الدكتور مصطفى ولماذا طبيب اخر؟ انه طبيبها منذ كان عمرها اياما. وحسب لا لا اسمع يــا جلال.. (تتغير ملامحها يتهدج صوتها.. اذ تتكلم بانفعال مفـــاجيء) اذا كنت بهذا القدر من الاوهام والشـــكوك فـــالافضل لنــا .. كلينــا ان. لا لا تقاطعني ارجوك.. اسمعني.. اسمعني.. بل.. بل.. اسمعني انت لتســمعني. انت اولا.. لابد ان تسمعني.. يجب ان تسمع ما اقول وتعيه جيدا ولا تنساه ابدا ما دمنا ما نزال في بداية الطريق. او بالاحرى لما نبتديء طريقنا بعد. حسنا.. حسنا.. انا هادئة هادئة تماما (تحاول ان تكون طبيعية) اسمع يــــا جلال اوه.. اوه.. دعني اتكلم لقد اتفقنا ان لا تقاطعني.. افضـــل افضــل بكثير (تحقق قدرا ما من الهدوء.. تتكلم بترو.. وبـــلا انفعــال كبــير) ان

واحدا من اقوى الاسباب التي دفعتني للافتراق عـــن زوجـــي. هـــو ذلـــك المستنقع الدبق الخانق من الشكوك الذي كان يغرقني فيه كـــل يـــوم هـــو واهله وانا لا اسمح لاي كان. اجل. اجل .. حتى انت.. حتى انت. لابـــد ان اكون صريحة وواضحة معك.. ها معك بالذات؟ ماذا تعني معك وحـــدك؟ لا.. لا.. انا هكذا مع الجميع.. مع الكل.. صريحة وواضحة.. ها؟ قاسـية؟ ربما هكذا جبلت. لا..لا.. طبيعية جدا اوه حسنا حسنا.. ليكن تعال تعـال أي وقت تشاء. لا لا لا استطيع تركها وحدها. مستحيل. أي كـــلام هـــذا.. لا.. ولا حتى اخذها معنا. انها مريضة الا تدري معنى ان تكون طفلة مريضـــة لا. ولماذا المبالغة. ان حالتها سيئة. تعال وانظـــر بنفســـك لا لا. نقضـــي الامسية في البيت. اجل اجل بجوارها وانا على استعداد ان اقضي عمـــري كله بجوارها. انها كل ما تشدني الى الحياة. لا لا لا اعدك بشـــيء. تعـــال تعال. وسوف نرى. بل تعال تعال فانا بحاجة اليك. الـــى الحديـــث معـــك. احساسي بالوحدة يخنقني وقلقي عليها يشويني، وانا بحاجة الى احد يكون معي لا بالتأكيد ليس أي احد. اجل انت انت بالذات. هل ارتحت هل اشـــبعت لك غرورك؟ لا.. لا.. لا شرط ولا شروط. كل شيء يتوقف على شلير على حالتها هي يالله .. من يدري عسى ان يكون وجودك شـــفاء لـــها، عســـى ولعل. هيا.. بعد ساعة..؟ لا.. لا.. لا يهم اكثر اقـــل. فـــي الوقـــت الـــذي يناسبك. انت تاجر والتجار امورهم ليست بايديهم. هـــا بـــايدي مـــن؟ الا تعرف؟ حقا؟ بايدي البيع والشراء الأخطبوطية. حسنا.. حســـنا.. اكـــون بانتظارك الى اللقاء.. الى اللقاء (تضع السماعة، تبهت هنيهـــة، لا تقـــوى على منع، نفسها من الاستياء والنفـــور.. تتكلـــم بانفعـــال وامتعـــاض..) غريب.. غريب امر بعض الرجال، وربما كل الرجال.. لا يرون في المـــرأة

التي تنجاوب معهم الا مرآة تعكس ما يعتمل في دواخلهم هم. وما يتوقون اليه من التنقل من واحدة الى اخرى، بالسرعة والخفة التي يبدلون بدلاتهم. وينوعونها.. ترى الا لايدركون ام لا يريدون ان يدركوا.. ان المرأة تحرص على جسدها اكثر مما يحرص الرجل (صوت بكاء الطفلة من الغرفة) استيقظت؟ باية سرعة؟ أي نوم هذا؟ (تسرع نحوها بقلق واضطراب، تعود بعد هنيهة قصيرة. وهي اكثر قلقا واضطرابا).. كأنها تحلم.. او.. او.. تهذي.. اهو هذيان الحمى.؟ لو.. لو يتوقف هذا العرق الغزير (تندفع نحو الهاتف، تدير رقما بانفعال) الو عيادة الدكتور مصطفى؟ اعطيني.. الدكتور رجاء.. ها؟ لاتستطيعين؟ لماذا؟ لا.. لا الدكتور لا يزعل انه طبيبها.. اه.. كوني طيبة معي.. ارجوك.. انها ابنتي حالتها في ترد اه.. وما حيلتي.. سأنتظر.. ليكن.. شكرا.. شكرا على اية حال.. (تضع السماعة.. تبقى ساهمة هنيهة. ثم فجاة) وماذا انتظر؟ لماذا لا اخذها اليه في العيادة (تتوقف) ها؟.. اذا كان مشغولا الى حد، لا يرد على مكالمة، تستغرق بضع دقائق حسب. هل سيتفرغ لفحصها هناك؟ لا.. لا.. لا اظن

لانتظر.. انتظر وامري الى الله.. خمس دقائق لو صدقت السكرتيرة، ليست بالزمن الطويل (ترنو الى ساعتها المتدلية من عنقها. حائرة لا تدري ماذا تفعل.. تخطو على رؤوس اصابعها، نحو غرفة الطفلة، لا تلبث ان تعود، قلقة، تقف امام الهاتف. تمد يدها الى السماعة.. تتردد تنظر الى ساعتها تذهب الى الغرفة ثانية، تعود مرة اخرى، تهم ان تخابر، تتوقف مترددة.. ثم تتغلب فتدير الرقم بتمهل) يا رب.. يا رب.. الو.. الو.. رجاء هل فرغ الدكتور اوصليني به.. ارجوك.. الو.. دكتور مصطفى.. انا.. انا مريم.. طبعا.. طبعا.. ومن لي غيرها.. حالتها باتت تقلقني جدا.. اجل..

اجل.. يا دكتور.. لقد سقيتها الدواء، حسب توجيهاتك.. ها.. منــذ.. منــذ (تنظر الى ساعتها) منذ ساعة تقريبا.. او.. او اقل.. ببضع دقائق.. تماما. تماما كما وصفت.. ملعقة كوب في نصف قــدح مــاء.. اجــل.. اجــل.. اعرف.. انها تسيح عرقا.. غزيرا.. وجسمها تنور.. تنور مشـــتعل.. لا.. لا.. لا ابالغ.. هــ.. ه.. هل انت واثق يا دكتور؟ اوه.. اسفة.. اسفة جــدا لسؤالي غير المنطقي.. ارجوك لاتؤاخذني.. طبعا.. طبعا.. انــت الطبيــب وانت الادرى.. اعذرني.. انا مضطربة.. و.... ها.. كمادات مــاء بــارد.. حسنا.. حسنا.. سأفعل.. سأفعل يا دكتور.. كما تأمر.. لا.. لا.. لم افارقــها لحظة واحدة.. لقد تغيبت.. حتى عن عملي بسببها.. كيف؟ كيف.. لا اقلــق يا دكتور؟ انا مرابطة عندها.. منذ الامس.. انها امور فوق طاقتي.. ارجــو ذلك يا دكتور.. من اجلها على الاقل.. اه.. انه لكرم من حضرتــك.. كــرم كبير.. انا لم اجرؤ.. لن اطلب منك ذلك.. لقد اتعبتك معي اكثر مما ينبغي.. نعم.. نعم.. يا دكتور... نعم الجار.. بارك الله فيك.. شكرا.. شكرا جزيــلا.. يا دكتور. سافعل بالتأكيد.. سأتصل بك.. الف شكر يــا دكتــور.. الــف.. شكر..مع السلامة.. (تضع السماعة وقد غدت في حال افضل) يا ليتــك لا تتأخر.. (تندفع نحو المكتبة كمن تذكرت امرا.. تسحب احد المجرات مــن الجزء السفلي.. تتناول منشفة.. تطويها بضع طويات..تخرج. تغيب بضــع ثون.. تعود بها ميلولة. تدخل غرفة شــلير.. ولا تعــود. نســمع ســوى صوتها.. مختلطا.. بصوت هز المهد) نامي.. يا شيلا يا.. حبيبتي.. نــامي يا حبة القلب.. نوم الشفاء والعافية (تشرع الشمس تنحسر رويدا.. رويــدا عن الغرفة.. وعن الحديقة.. ينساب صوتها.. عبر فتحة البــاب.. رقيقــا دافئا.. بحنان فائق وجمال آسر وهي تغني.. بلا موسيقى، اغنيــة فــيروز

"يالله.. تنام ريما")

يالله تنام ريما

يالله تنام شيلا.

يالله يجيها النوم

يالله تحب الصلاة.

يالله تجيها العوافي.

كل يوم بيوم.

يالله تنام.. يالله تنام.

لاذبح لها طير الحمام.

روح يا حمام لا تصدق

اضحك ع ريما تتنام.

اضحك ع شيلا تتنام.. تتنام.. نام..م م م.

(يخفت صوتها رويدا.. رويدا.. وهي تهدهد الطفلة. كما يخفت صوت اهتزاز المهد.. مما يحمل على الاعتقاد بانها قد غفت مع ابنتها. موسيقى مناسبة لفترة وجيزة، ثم يرن الجرس.. لا حركة، يتكرر الرنين. تدخل فزعة تلتقط سماعة الهاتف) اه.. يبدو اني غفوت.. آلو.. نعم.. (يعود الرنين.. تنتبه انه صوت جرس الباب، تعيد السماعة.. من فتحة النافذة، تخاطب القادم..) لحظة.. لحظة واحدة انا قادمة (ثم) قال بعد ساعة ولم تمض سوى دقائق (تنظر إلى ساعتها) مواعيد تجار!! (تتوجه نحو الباب) حتى اني لم اغير ملابسي (تتوقف) لا.. لا.. ينبغي ان استقبله بهذه الملابس.. او.. على الاقل.. يتوجب ان لا يراني بهذا الحال (تسرع إلى المرآة.. تعدل من هندامها تمشط شعرها، تضع مكياجا خفيفا، بسرعة تدخل غرفة الطفلة.. ثم تعود مرتدية روبا موردا. تشد حزامها

على قوامها الرشيق تسرح شعرها ثانية، تلقي نظرة على نفسها، تطمئن.. تسرع نحو الباب قبلما تفتح الباب تعود مسرعة. تتناول باقة الورد.. تخفيها وراءهـــا، تريد مفاجأته. تمتاز حركاتها بالنشاط والمرح) لقد جئت في الوقــت المناســب.. المناسب تماما (تفتح الباب بلهفة وشوق.. وفجأة تنتكس. بدهشة كبيرة مشـوبة.. بالامتعاض. متراجعة إلى الوراء) انت؟

هو: (من الخارج صوته فقط) كما ترين انا..

هي: لم اتوقع ان..

هو: انا.. ايضا.

هي: اذن؟

هو: الا تسمحين لي بالدخول؟

هي: (تتراجع اكثر.. تفسح له الطريق) آ آ.. (يدخل رجل فـــي حـدود الاربعيـن بهندام متواضع. تبدو عليه سيماء من اقبل من سفر. يترك حقيبتــه علــى الارض. يسدَ الباب خلفه. يتصرف كمن دخل بيته) ترى اية ريـــح حملتــك الينا (تستدير. تعيد باقة الورد إلى موضعها.. دون ان تدع الرجـــل ينتبــه للامر، تدسها بين شجيرات الاس. تخفيها)

هو: الا.. تدرين؟

هي: (تهز كتفيها) لست قارئة غيب.

هو: (بدهشة) حقا؟ حقا لا تدرين؟

هي: وانى لي ان ادرى؟.

هو: عجيب.

هي: اوتشك؟

هو: استغرب..

هي: تستغرب؟

هو: لعلك نسيت..

هي: نسيت ماذا؟

هو: الرسالة (يمد يده إلى جيبه) رسالتك.

هي: (باستغراب) رسالتي؟

هو: او رسالة غيرك. فالخط لا يشبه خطك.. انظري.

هي: اه.. (ساهمة) لقد مضى عليها زمن طويل.

هو: طويل؟ ابدا.. لقد استلمتها قبل بضعة ايام فقط.

هي: يفترض انها قد وصلتك.. منذ شهر.. او اكثر..

هو: ليس ذنبي اذا كانت قد تاخرت في البريد.. او..

هي: لا.. لا.. ليس ذنبك

هو: امل.. ان لا يكون الاوان قد فات.

هي: لا.. لا اظن (تتوقف) ولكني لا احسب الوقت مناسبا.. الان..

هو: لم تحددي.. وقتا معينا.

هي: ربما.

هو: بل بالتأكيد.. هاك.. اقرايها

هي: (تتجنبها) معك سيارة؟ حمالون؟

هو: (بدهشة) سيارة..؟ حمالون؟ لماذا؟

هي: كيف تنقلها اذن؟

هو: (تشتد دهشته) انقل ماذا؟

هي: الم تعرف ذلك من الرسالة؟

هو: الرسالة مقتضبة جدا.. تشبه برقية في غاية البخل. احضر لأمر عاجل. ذلـك

كل ما في الرسالة.

هي: وهكذا لبيت الامر العاجل بعد كذا يوما..

هو: البصرة ليست حيا من احياء كركوك.. وثمة اعمالي ومسألة الاجازة و..

هي: و.. الفتور في الحماس.. و.. و..

هو: لا.. حماسي.. ليس فاترا..

هي: واضح.. واضح جدا..

هو: الا تصدقين؟

هي: اوه.. ما الذي يتغير سواء صدقت او لم اصدق.؟

هو: لا يتغير. يتغير الشيء الكثير..

هي: حقا؟

هو: قلت لك يوم افترقنا، انني وبالرغم من كل شيء، رهن اشارتك.. ولن اتـــردد في تقديم ما استطيع..

هي: اقوال.. اقوال.. لا احد يحاسب احداعلى اقواله.

هو: ماذا تعنين؟

هي: واضح ما اعنيه.. لا ضريبة على الاقوال.

هو: ليكن.. لا تصدقي.. (منتفضا) على اية حال.. كانت لي اسبابي و..

هي: و.. ماذا.. ايضا..

هو: خشيتي..

هي: ممَ؟

هو: ان يكون حماسي صرخة في صحراء، لا جواب ولا حتى صدى.

هي: ماذا تقصد؟

هو: كأن يكون من جانب واحد.. كما كان اكثر الاحيان.

هي: انه.. كذلك.. (بتكابر) من جانب واحد، فعلا.

هو: هكذا.. اذن؟

هي: وماذا تظن؟ فاض بي الوجد؟ جنني الشوق؟ ارتمي في احضانك اول ما اراك؟

هو: لن اسمح لنفسي ان يبلغ بي الحمق هذا الحد. اعلم ان لك طبعا لا يلين. ولكني حسبت ان الفراق

هي: (تقاطعه) قد طبخني بناره جيدا. واذ تاتي تجدني اكلة ناضجة جاهزة للابتلاع.. اليس كذلك.؟

هو: (يهم ان يقول شيئا. ولكنه يمتنع فجأة، يكتفي بالتحديق بها، ورسم علامة يأس خرساء بيديه).

هي: اراك سكت؟

هو: وماذا اقول؟ (ثم) ان لك طريقة غريبة في النقاش.

هي: غريبة؟ انا؟..

هو: تختلقين الجواب اولا.. ثم تصوغين السؤال.

هي: لأني اعرف كل ما تفكر به. اقرأ افكارك وهي في ذهنك.

هو: لو قلت لك اني لم افكر على هذا النحو.. هل تصدقين.

هي: لا. بصراحة.. لا..

هو: اذن ما الجدوى؟ ما جدوى أي حوار ينطلق احد طرفيه من ارضية كونكريتية..

هي: انها.. ارضية.. الحقيقة..

هو: بل ارضية العناد والمكابرة التي لا معنى لها.

هي: (تهم ان تتكلم، ولكنه يسترسل ولا يدعها)

هو:على اية حال (ثم) ما الامر العاجل الذي جلبتني من اجله؟

هي: لقد اردتك بشأن.. (تتوقف)

هو: (بقلق) بشأن ماذا؟ (ثم باضطراب) شلير.؟ بشأن شلير يا مريم.؟ اهي بخير؟ اين هي؟ لماذا لا اراها؟

هي: نائمة.

هو: قبلما تغيب الشمس؟

هي: الا تصدقني؟

هو: بلى.. بلى.. ولكن الوقت مبكر جدا.. اهي بخير؟

هي: بخير.. بخير.. (كمن تخاطب نفسها) امل ان تكون بخير..

هو: تأملين؟ اذن فهي ليست كذلك.. ماذا بها يامريم؟ دعيني ارها (يسرع نحو الداخل).

هي: (تقف بوجهه) دلير.. اسمع.. دلير.

هو: (يتوقف) دلير؟ منذ متى لم اسمع اسمي يخرج من بين شفتيك..

هي: (ترتبك) اسفة.. اوه.. لم.. (يزداد ارتباكها)

هو: اسفة؟ اسفة لانك نطقت باسمي.. لماذا يامريم؟ لماذا الاسف؟

هي: مازلت كما كنت.. تتوقف عند كل كلمة.. تدقق في كل لفظة.. تحاسب على كل هفوة..

هو:طبائع الانسان لا تتغير بين ليلة وضحاها..

هي: ليلة وضحاها؟ لقد انقضت السنة.. او كادت..

هو: حتى لو انقضت سنوات.. الطبع الاصيل في الانسان لا يتغير.

هي: يتغير اولا يتغير.. ليست هي المشكلة..

هي: وما هي المشكلة؟

هي: ارجوك.. لست مستعدة لتبديد المزيد من الوقت في كلام لا طائل تحته..

هو: الديك.. ما هو اهم؟

هي: طبعا.. والا لما استدعيتك.

هو: حسنا.. دعينا نسمع..

هي: (تتغلب على ترددها) في البيت.. اشياء.. حاجيات.. وما شابه.. تعود اليـك.. وقد..

هو: من اجلها طلبت حضوري.

هي: انها لك.. ومن حقك ان تأخذها..

هو: (يضحك بمرارة وهو يجيل النظر) لقد تغير البيت كثيرا، والحديقة.. ايضا..

هي: لا شيء يبقى على حاله.

هو: قطعت كل الاشجحار العالية.

هي: البيت بيتي وانا حرة في التصرف..

هو: لم تبق شجرة واحدة، تعلو شجيرات الاس (يمرر يده فوقها)

هي: شتلت بدلا عنها الزهور.

هو: (بألم) حتى شجرة الزيتون العملاقة ذات الظلال الوارفة.. راحت.. اندثــرت.. لم يبق منها سوى جذع، سينخر فيه الدود.

هي: اخذت تعلو وتتعشب كثيرا..

هو: اكثر مما ينبغي..

هي: بالضبط.. اكثر مما ينبغي..

هو: (يتلمس جذعها المتبقي، بحسرة) كنا قد زرعناها معا.. في الاســـبوع الاول من..

هي: (تقاطعه) قلت لك تعشبت، واخذت تحجب الشمس عن البيت.

هو (مسحورا بالذكرى) كانت هنا، بخضرتها الدائمة، وظلالها الوارفة.. ما اكثر ما قضينا امسيات الصيف تحت فينها، شلير.. تلهو بلعبتها.. وانت وانا نلهو بمراقبتها.. ونضحك لكركراتها و..

هي: (بضجر) اووووف..

هو: كان يمكن ان تكتفي بتشذيبها

هي: ليس من حقك ان تحاسبني على شيء.. ولا حتى تلومني

هو (بسخرية مرة) البيت بيتك.. وانت حرة..

هي: اجل.. البيت بيتي، خلفه لي ابي، هل تنكر؟

هو: (على الرغم منه) ابوك خلف لك خرابة، مجرد خرابة..

هي: وانت الذي احلتها بيتا لائقا بجهدك. وكدك، لقد سمعت ذلك الف مرة. هل لديك ما تضيفه؟

هو: اضافة صغيرة، او بالاحرى تصيح صغير، بجهدنا وكدنا معا.. انت وانا.. ذلك ما كنت اقوله. دائما واقوله الان.. واقوله ما حييت.

هي: ومع هذا فالبيت بيتي.. بيتي وحدي.

هو: صاحبته ومالكته، وباقرار مني.. اعترف، ولكن لو تركت فيه شيئا ما..

هي: مثل ماذا، يعني؟..

هو: شجرة الزيتون مثلا، شاهدة وحيدة على ذكرياتنا المشتركة، في الاقل..

هي: شجرة الزيتون كانت الشجرة الاولى، التي جال فيها المنشار..

هو: (متوجعا) اه..

هي: لا اريد في بيتي شيئا يذكرني.. بك.. وبتلك الايام.

هو: قد لا يكون ذلك.. راي الطفلة.

هي: الطفلة؟ لا.

هو: من حقها ان لا يلغى ابوها من ذاكرتها الغضة.

هي: بعدما تكبر وتعي.. لها الحق ان تقرر ما تريد.

هو: سوف تسلبينها.. حقها هذا.

هي: انا؟

هو: ولهذا السبب تتخلصين.. من كل ما يمت الي بصلة..

هي: لا.. ليس الامر كذلك..

هو: بل كذلك.. كي لا تقع عينها على مخلفاتي.. وتسأل ذات يوم..

هي: لا عين تقع عليها.. فقد اغلقت دونها الباب، لو استطعت لأقمت مكان الباب حائطا.

هو: لماذا يا مريم؟ لم كل هذا الحقد؟ لسنا اول زوجين ينفصلان.

هي: لا استطيع ان اهضم فكرة كوني.. المرأة الثانية في حياة احد، لا سيما بعدما اخترت هذا الاحد.. زوجا لي.. انها اهانة لا تنسى.

هو: لم تكوني كذلك قط. فانت الاولى..

هي: بيد اني لست الاخيرة..

هو: بعدما حصل الذي حصل.. لا اظن من حقك ان..

هي: وقبلما يحصل الذي حصل؟

هو: كنت.

هي: تكذب.

هو: (بحدة) مريم.

هي: وسعاد؟

هو: ليست سوى زميلة.. اوهامك هي التي منحتها صورة اخرى.

هي: ارجوك

هو: ام ار احد انزل اوهاما، خلقها لنفسه، منزلة اليقين مثلك.

هي: ولم ار احدا تعامل مع الحقائق.. كما تتعامل النعامة مع الصيادين.

هو: هل انت منهم؟ من الصيادين؟

هي: (باحساس بالعجز) لماذا لا تأتي باحد يعينك على نقل حاجياتك وتسدل الستار على كل شيء.

هو: كما يحدث في المسرحيات عادة (منتفضا) ولكن حياتنا لم تكن مسرحية.

هي: كل حياة عبارة عن مسرحية، لها بداية ولها نهاية..

هو: النهاية الطبيعية.. لا المقحمة..

هي: ارجوك.. ابحث عمن يعينك..

هو: الآن؟

هي: وكلما اسرعت.. كان افضل.

هو: الا ترين الوقت قد تاخر.. واخر القطارات قد غادر المحطة.

هي: (تنظر الى ساعتها) آ.. آ.. ربما.. لندع ذلك للغد.. فقط قل لي في اية ساعة ستاتي.

هو: لن آتي..

هي: نعم؟

هو: لقد سمعت بوضوح.

هي: اتعني انك ترسل شخصا آخر؟

هو: لا..

هي: لا.. كيف؟

هو: لست بحاجة الى حاجاتي..

هي: وانا الاخرى.. لست بحاجة الى حاجاتك..

هو: اذن دعيها حيث هي.. وانسي امرها.

هي: يا لفرط ذكائك!

هو: ذكائي؟ ما علاقة الامر بالذكاء.

هي: جحا، بعد كذا قرنا، يدق مسماره مجددا.

هو: (بدهشة) ماذا تعنين..؟

هي: حكاية مسمار حجا.. قد تهرأت.. ولم تعد تنطلي على احد..

هو: ما اسوأ نواياك يا مريم!!

هي: انا بحاجة الى الغرفة التي تشغلها.

هو: ارميها خارجا وتمتعي بفراغ الغرفة.. كما يروق لك..

هي: انت من ينبغي ان يفعل ذلك..

هو: هل تنقصك الشجاعة؟ الذي اعرفه عنك انك امرأة شجاعة

هي: انا فعلا كذلك.. حين اريد ان اكون..

هو: اذن ما الأمر؟ لماذا لا تريدين ان تكوني..

هي: لا المس شيئا.. لا يعود لي..

هو: كل الاشياء.. لك..

هي: كانت.. وهي الان لم تعد..

هو: تقولينها بلا اية نبرة اسف.

هي: اسف؟ اسف على ماذا.. على مجموعة نفايات؟

هو: نفايات؟ سريرنا المشترك.. دولاب ملابسنا.. البوم صورنا.. اشرطة الاغـاني التي كنا نسمعها معا.. فيروز.. علي مردان.. نفايات؟ مجـــرد نفايـــات..؟ اه.. ما اشد قسوتك!!

هي: (تنظر إلى ساعتها بقلق) اننا نبدد وقتنا بلا موجب.

هو: قولي انت تبدد وقتي.. بلا موجب..

هي: كما تشاء.. ها انت قلتها بدلا عني..

هو: هل اعتبر هذا.. امرا بالخروج؟

هي: آ.. انا.. انتظر زيارة.

هو: منه؟

هي: (تتردد) آ.. آ.. آ.. (ثم فجأة بجرأة) اجل.. منه..

هو: حتى قبلما تنقضي سنة؟ حريصة على الوقت حقا..

هي: فسر الامر.. كما يحلو لك.

هو: جلال.. اظنه يدعى جلال.

هي: تحرياتك عني دقيقة، دقيقة جدا..

هو: بل اهتمامي بك كبير.. كبير جدا..

هي: لم اطلب منك ان..

هو: لا افعل ذلك بناء على طلب من احد.. وانما تحقيقا لرغبة ذاتية.. بحت.

هي: كان يتوجب عليك ان توجه رغباتك وجهة اخرى.

هو: كما فعلت انت.

هي: (بضجر شديد) اوووه

هو: تاجر. علمت انه تاجر.. (لا تجيب) اليس كذلك؟

هي: بلى.. تاجر (كمن تتعمد اغاضته) تاجر كبير..

هو: (متجاهلا قصدها) من اجله تريدين الغرفة.

هي: من اجله؟ ماذا يفعل بغرفة.. لا تتجاوز كل مساحتها عشرة امتار.. ان البيت برمته لا يوازي ملحقا من ملحقات مستودعاته ومخازنه وقصوره..

هو: يخبيء فيها بعض مسروقاته..

هي: (بتحد) ليست له مسروقات.

هو: في اهاب كل تاجر وتحت مظاهر دعته وكلامه المعسول يختبـــيء لــص او اكثر من لص.

هي: جلال تاجر شريف.

هو: تاجر شريف؟ (يقهقه) تاجر وشريف؟ أي تناقض.

هي: (بحدة وانفعال) انه، وعلى الرغم منك، شريف.. ونبيل.. ومخلص..

هو: بعض الاقنعة ضرورية للتاجر، أي تاجر، للمضاربة او التعامل فـــي الســـوق بقصد تحقيق الربح.. غير الشريف وغير المستقيم. وغير وغير وغير.

هي: انه عجزك الذي اقعدك في وظيفة صغيرة بائسة يملؤك بكل هذا الحسد.

هو: الحسد (يضحك) احسد من؟ مجموعة مخلوقات تلعـــق الـــدم.. فـــي زماننـــا المشوه هذا بوسع أي لص ان ينافس قارون في امواله.. على اية حـــال، يبدو انك مقتنعة و واثقة من حسن اختيارك..

هي: طبعا.. وماذا تظن؟ هل جذبتني اليه ثروته؟

هو: (يسكت، حركة استخفاف بكل شيء')

هي: لعلمك.. لقد اشترطت عليه.. ان يقيم هو.. عندي.. في بيتي.

هو: ما الفرق؟

هي: الفرق اني اقطع السنة السوء التي تتقول علي باني تزوجته طمعا في امواله وقصوره..

هو: كل زواج فيه قدر من الطمع.

هي: حتى.. حتى زواجنا؟

هو: حتى زواجنا..

هي: بماذا تراني قد طمعت.. حين وافقت على الزواج منك.

هو: لا اعرف بماذا طمعت.. انت.. ولكني اعرف بماذا طمعت. انا.

هي: هي: هكذا.. هكذا.. افصح عن مكنون نفسك.. عما اخفيته طيلـــة الســـنوات السابقات.. اذن فقد كنت طامعا في..

هو: في خرابة ابيك (يضحك) ما انت الا مجنونة.

هي: انت الذي تفضح نفسك..

هو: ليست فضيحة.. انها الحقيقة.. لقد كنت طامعا في حبك.. في حيـــاة ســـعيدة نحياها معا.. ولكنك.. (ثم).. اخ.. ما جدوى الكلام..

هي: لا.. لا.. جدوى.. (صمت)

هو: تحبينه.. حقا؟ (لا تجيب) الست واثقة من مشاعرك.. ام ترفقضين الاجابة..؟

هي: الامر يخصني.. يخصني وحدي..

هو: منذ.. متى تعرفينه؟

هي: وهل لذلك.. اية اهمية؟

هو: في.. في.. اقصد.. خلال.. فترة زواجنا؟

هي: لست المرأة التي ترتبط برجلين.. ماذا تحسبني.؟

هو: ارجو.. ذلك.

هي: لماذا؟ ما شأنك انت؟ بعدما افترقنا وانتهى كل ما بيننا.

هو: اعرف.. بانى لم اكن مغفلا.. اكثر مما ينبغي. على الاقل.

هي: بيد انك تتمنى لو كنت..

هو: لو كنت مغفلا.. وكنت.. انت.. لا.. لا..

هي: بل.. نعم.. نعم..

هو: مستحيل! كيف؟.. لماذا؟

هي: تتخلص، او على الاقل، تخفف من وطأة احساسك بالذنب.

هو: الذنب؟ انا؟ لماذا؟

هي: نسيت؟ بهذه السرعة نسيت نيران الشكوك التي كنت تشويني فوقـــها ليـــل نـهار.

هو: لا اظنك تعنين ما تقولين

هي: بل اعني.. اعني كل ما اقوله.

هو: حقا..؟

هي: الم تطلب مني ان اسجن نفسي في البيت.. كي لا التقي بزملائي في العمل.

هو: يا الهي كيف تجرؤين على قلب الحقائق بهذا الشكل الفظيع؟ كل مـــا اردتـــه منك ان تأخذي اجازة من اجل شلير وتربيتها.. لا سيما بعدما طردت اختـي التي كانت تعتني بها في غيابنا.. ولم تعودي تطيقين احدا من اهلي.

هي: اوه.. لا تذكرني بهم.

هو: تبغضينهم الى هذا الحد؟ لماذا؟ انهم لم يسيئوا اليك.

هي: اناس دبقون.. يسدون مسامات جلدي..

هو: كانوا هنا.. من اجل العناية بشلير.

هي: بل نصبتهم جواسيس.. يعدون علي انفاسي.

هو: جواسيس؟ سامحك الله.. ماذا اقول.. غير سامحك الله.

هي: اولا يسامحني.. تكفيني ثقتي بنفسي، بطهري وعفتي..

هو: لم تكوني موضع شك من قبل احد.

هي: بل كنت.

هو: (بدهشة شديدة) كنت؟

هي: ومن قبلك انت بالذات.

هو: هراء.. هراء وافتراء.. فانا بالذات.

هي: (تقاطعه) ارجوك.. اخرجني من هذه الحلقة الخانقة التي ندور فيـــها.. هـــي تريدني اختنق؟

هو: (متراجعا) لا. لا. بالتأكيد.. ولكن لتقري على الاقل، باني لست مـــن يتعـــامل مع الناس والحقائق.. مثل النعامة..

هي: ارجوك.. الوقت قد تاخر.. ويتوجب علي ان.. ان (تشير الى ملابسها)

هو: تتهيأي لاستقباله..

هي: ها.. قد عرفت..

هو: ليكن.

هي: (بحماس) عظيم (تستعد لتوديعه)

هو: لم افكر قط، ولا رجوت ذات يوم.. ان تنتهي حياتنا هذه النهاية البائسة

هي: (بتكابر) البائسة؟ البائسة بالنسبة.. لمن؟

هو: لنا كلينا.. لي.. لك.

هي: لي؟ انت واهم.. قد تكون كذلك بالنسبة لك وحدك.

هو: و.. انت؟

هي: (حالمة) انا.. سأخوض غمار تجربة اخرى، حياة جديـــدة، احـــرص وابـــذل المستحيل في سبيل ان ابعد عنها شبح البؤس والتعاسة..

هو: امل ان تحققي ما تنشدين.. وتعثري على اسباب هنائك..

هي: شكرا (تمد له يدها)

هو: (يتجاهلها. يخاطب نفسه) بات حتما علي ان احمل صليب اوجاعي وحدي.

هي: كل انسان مسؤول عن اختياره.

هو: ولكل اختيار ضريبته التي ينبغي ان تدفع..

هي: ذلك قانون الحياة.

هو: (هائجا) ولكني لم اختر الافتراق. انت التي دفعت الامور الى هذه الحالة..

هي: بعدما وصلت حياتنا الى طريق مسدود.. كان الافتراق الانفراج الوحيد.

هو: لم يكن طريقنا مسدودا، على الاطلاق، كان مفتوحا دائما على المستقبل.. على الامل.. على..

هي: ربما (ثم بنبرة حاصة) كان.. (اشارة الى ماض ولى)

هو: بالم شديد) اه..

هي: ارأيت؟ صدقت الان؟ اقتنعت؟

هو: ما اقسى ان تفر منا كل تلك السنوات المترعات بالحياة.. بحلوها ومرها وتقبع في زاوية مهملة، تحت اسم "كان" يتراكم فوقها غبار الايام وتدفعها اقدام الزمن الوحشية.. الى هوة النسيان.

هي: ذلك مصير كل حياة، تتهدم فيها جسور الثقة.. وتجف فيها شجرة الحب. اذ تقرض جذورها ديدان الشك والاتهامات الباطلة..

هو: صحيح.. ما تقولينه.. صحيح..

هي: واذن؟

هو: عدا.. مسألة.. تتجنبين الاقتراب منها..

هي: قلت.. كل ما عندي بوضوح.

هو: الا.. امرا واحدا.. اساسيا.. على من تقع مسؤولية افراغ حياتنا من معناها. وتدميرها بذلك الشكل الفظ.

هي: (راغبة عن الاستمرار) قد اجبت.. اكثر من مرة..

هو: واخطأت.. شأنك.. كل مرة..

هي: ذلك ما تعتقده.. انت.

هو:ذلك.. هو الواقع.

هي: الواقع.. منظورا اليه.. عبر عينيك.

هو: لك طريقة.. فذة في الدفاع.

هي: حين يتعرض المرء، لهجوم يومي. بل عشرات المرات في اليوم الواحدلا بد ان يتعلم.. ويبتكر اساليبه الخاصة.. لحماية نفسه..

هو: وها.. قد تعلمت وابتكرت.. بل وابدعت في الابتكار.. حتى باتت كل حقائق الكون عاجزة عن احداث خدش صغير في اسوار عنادك.

هي: بل قناعاتي.. وهي منطلقة من ارض الواقع.. معجونة بمعطيات سنوات العذاب التي عشتها معك (يهم ان يتكلم. تسكته) ارجوك.. أي جدوى من دفن الوقت في ثنايا حوار عقيم (ترنو الى ساعتها)

هو: يبدو اني اهدرت من وقتك اكثر مما ينبغي، اكثر مما استحق فعذرا انا اسف. اسف جدا. سارجع من حيث اتيت.

هي: (بصراحة) خير ما تفعل، مع السلامة.

هو: ولكن قبلما اخرج.. لدي رجاء.

هي: (بتأفف) تفضل.

هو: هل لك ان تحققي لي طلبا.؟

هي: ما هو؟

هو: الم تعرفي حتى الان؟

هي: نعم؟

هو:ولم تحدسي.

هي: (بضجر متصاعد) نعم. لم احدس. حاسة الحدس عندي معطلة.

هو: ولم تسألي نفسك لماذا مكثت هنا. كل هذا الوقت؟

هي: (متضايقة) ارجوك، كف عن اعتباري تلميذة، تحت الاختبار. قل لي

بوضوح، ماذا تريد؟

هو: شلير.

هي: شلير؟ (تنتفض برعب) انت تطلب المستحيل.

هو: لماذا؟

هي: لو اقتلعت كلتا عيني.

هو: ارجوك.. انا..

هي: لا. لا. لا استطيع.. لا استطيع البتة.

هو: ما معنى لا تستطيعين؟

هي: ليس لذلك سوى معنى واحد. وهو مفهوم.. وواضح جدا..

هو: (مصعوقا) هـــ.. هـــ.. هل يمكن؟ لا.. لا.. اصدق.. لا اصدق.

هي: بل صدق.. الطفلة قد نسيتك او كادت.. والافضل لها ولنا جميعا ان تنساها انت الآخر.

هو: انساها؟ ما الذي تقولين؟ انسى ابنتي؟ هل انت مجنونة؟

هي: اكون مجنونة حقا.. لو تركتك ان..

هو: اسمعي يا مريم. ربما تسامحين نفسك ذات يوم لانك لم تقدمي لزوجك القادم من رحلة طويلة شاقة، قدح شاي.. او كأس ماء.. وقد اسامحك انا ايضا.. ولكني لن اسامحك ولا اظنك ستسامحين نفسك، يوما اذا تقفين حاجزا شيطانيا بين اب وابنته الوحيدة.

هي: وفر مقدرتك الكلامية.. وموهبتك البلاغية لنفسك، فانك لن تؤثر بهما على قيد شعرة.

هو: يعني.. يعني.. ماذا.. هـــ.. هـــ.. هل يطاوعك قلبك ان اذهب من دون ان..

هي: بكل تاكيد.

هو: (يهجم عليها ولكنه يتوقف) طيلة عشر سنوات من حياتنا المشتركة لم ارفـع يدي. بل لم تسمعي مني كلمة نابية.. والان..

هي: والان.. ماذا تنوي ان تفعل.. تضربني.. تشتمني.. تسبني.. هيـا.. افعـل.. افعل كل ما تشاء وتريد..

هو: لا. لا. ابدا.. لتبتر كلتا يداي.. ان مستك احداهما.. ليقطع لسـاني ان قذفـك بكلمة غير لائقة. لست من ذلك النمط من البشر ولن اكونه مـا حييـت.. ولكني اقسم لك.. بكل ما هو مقدس. اقسم لك بشلير نفسـها. ان لا ابـرح مكاني هذا (يتربع جالسا) حتى يرتد اليك عقلـك.. وتحققـي لـي طلبـي الوحيد.. برضاك وقناعتك.

هي: عبث كل ما تفعله عبث.. حتى ولو احلت نفسك جذعا مـن هـذه الجـذوع المقطوعة او قطعتني.. اربا.. اربا..

هو: اذن اعتبريني منذ اليوم جذعا من جذوع اشجاري المقطوعة.

هي: تاكيد يا دلير.. انه لاهون علي الف مرة ان تأخذ كبدي من بيـن ضلوعـي وتمضغه امام عيني.. او تاخذ روحي من جسدي وتـتركني جثـة هـامدة للدود.. من ان تاخذ مني شلير.

هو: (ينهض بانتباهة خاصة) آخذ شلير؟ ما الذي تقولين؟

هي: خذها كلمة اخيرة يا دلير.. لو اطبقت السماء على الارض فاني لـن اتخلـى عن شلير يوما واحدا.

هو: ومن الذي يطالبك بالتخلي عنها.. ساعة واحدة او حتى ثانية واحدة..

هي: ها (تغدو في حالة غريبة) ها؟.. حقا؟ حقا؟ حقا؟ أ أ.. الا الا..

هو: كل ما اطلبه منك وارجوه.. ان تسمحي لي بالقاء نظرة عليها.. وعناقها.

هي: لـ.. لـ.. لقد.. حسبت انك..

هو: ارأيت الى ما يقودك تسرعك وعدم ترويك في اتخاذ قراراتك.. اريت مـــدى الشطط الذي يمكن ان تقعي فيه.. جراء تهورك..

هي: (ساكنة. لا تريم.. مكانها)

هو: (برقة) هلا.. سمحت لي برؤيتها.. رؤيتها حسب. لا. خطفها.

هي: (تحاول تدارك حالها وارتباكها) انها.. انها.. نائمة..

هو: اكتفي بالنظر اليها من بعيد.. لن ادعها تشعر بوجودي..

هي: (تنظر الى ساعتها بضيق) الوقت متاخر.. وانا..

هو: لن امكث عندها غير ثوان.. بوسعي.. تقدير حالتك..

هي: ليست حالتي انا.. انما.. انما حالتها هي.. حالة شلير.. ما افكر فيها..

هو: حالة شلير؟ ماذا بها؟ ماذا بشلير يا مريم.. انطقي.. تكلمي..

هي: مـــ.. مـــ.. (تبكي) مـــ.. محمومة.. منذ الامس.. و..

هو: وماذا ايضا؟ كيف تخفين امرها عني حتى الان (يندفع الى الداخل)

هي: (تحاول منعه) دلير.. دعها.. انها نائمة.. لا توقظها

هو: (يدفعها) لا قوة في الكون تمنعني.. هل تسمعين؟ (يدخل)

هي: آه.. (تتصلب، تقاوم رغبتها في الدخول. تنظر الى الباب الخارجي تارة والى ساعتها اخرى. والى الداخل ثالثة بقلق متزايد) لا تلمسها.. يـــا دلـــير.. لا توقظها..

هو: (يعود مسرعا) جسمها ملتهب غارقة في العرق.. وبطنها يسبح.

هي: ثانية؟ لقد نظفتها ونشفتها قبل هنيهة (تجري نحو الداخل يجـــري خلفـــها. توقفه) لا.. ارجوك.. دعني وحدي.. مع ابنتي.

هو: انها ابنتي.. مثلما هي ابنتك يا مريم (يسبقها. يغيبان بعض الوقت)

هي: (خارجة) تعال.. تعال.. ستتحسن حالتها.. دعها الآن.. دعها..

هو: (يتبعها) حالتها سيئة جدا.. لا يمكن تركها.. دون طبيب

هي: ليست ثمة خطورة.. لقد طمأنني الدكتور بنفسه.

هو: يجب اخذها.. الى المستشفى.. باسرع وقت..

هي: الطبيب قادم في اية لحظة.. لقد وعدني.

هو: متى.. متى حالتها لا تتحمل أي تأخير.

هي: سيأتي.. سيأتي.. حالما ينتهي من مرضاه.

هو: اخشى ان يتاخر ويفــوت الاوان.. لنأخذهــا اليــه.. او الــى المستشــفى.. فالمستشفى قريب.. لا يستغرق سوى دقائق..

هي: نأخذها؟ معا؟ انا وانت؟

هو: لم لا؟ ما الضير؟

هي: حقا؟ الا تعرف ما الضير..؟ ام انك تخطط لـــ..

هو: آه.. حتى في هذا الوضع الصعب لا تتخلين عن اوهامك وعنـــادك.. خذيـــها انت وحدك..

هي: اخذها.. حين اقرر انا..

هو: اذن قرري.. واسرعي.. او دعيني اخذها وحدي..

هي: انها.. ابنتي..

هو: وابنتي.. ايضا..

هي: ولكني انا المسؤولة عنها.. بحكم القضاء.

هو: اعرف ان القضاء قد حكم بها لك. ولكن لا حكم القضاء ولا حكمـــك، ولا أي حكم في الكون.. بقادر على الغاء ابوتي. ولا حتى تجميدها.. انا ابوهـــا.. ابوها.

هي: اعرف.. اعرف.. كف عن الزعيق.. انها بخير.

هو: اسمعي يا مريم.. ما دمت حريصة علـــى موعـدك معــه الـــى هــذا الحــد فانتظريه.. انتظري فارسك الى ما تشاءين.. اما انا فلا يطـــاوعني قلبـــي على تركها بهذه الحالة، ثانية واحدة (يدخل)

هي: اه.. لا.. لا.. (تتعلق به. تمنعه من الدخـــول. يدفعـــها عنـــه) لا. لا... يـــا مجنون.. لن ادعك تاخذها.. مني.. لا.. لا.. (تمسك رجله).. لن تنتزعـــها مني..

هو: دعيني.. يا مريم.. دعيني (يحاول تخليص رجليه منها)

هي: سر على جثتي.. ان شئت.

هو: اعقلي.. يا مريم.. اعقلي (يدفعها ثانية. تخطف المقص. تقف بوجهه. تســـد مدخل الباب)

هي: حاول.. يا هذا.. حاول.. (تلوح له بالمقص)

هو: (يتراجع، بصوت باك) ستموت.. طفلتنا الوحيدة ستموت..

هي: تموت.. لو.. لمستها يدك.. ابتعد عنها.. تكن على خير ما يرام.

هو: مريم.. انا ابوها.. لا يمكن ان اريد لها الا الخير.

هي: وانا.. هل اريد لها الشر؟

هو: حاشاك.. انت من فرط حبك.. تجنين عليها.

هي: انا اجني عليها؟ اجني على شلير؟ انا افديها بروحي.. بحياتي..

هو: كل عواطفك الجياشة التي لا اشك في صدقها ونبلها. لا تجدي الطفلـــة فـــي وضعها الحالي قلامة ظفر.. دعيني اخذها الى المستشفى.. ثوان واعيدهـــا اليك.. ثوان وحسب.

هي: لا. لا. انت تخطط لخطفها. لقد عرفت باني ساتزوج وجئت لكـــي تخطفـــها مني.. ولكن هيهات.. هيهات.

هو: اية مجنونة انت! هل سمعت بأب خطف ابنته.

هي: بغضك لي وحقدك علي، يمكن ان يدفعاك الى أي شيء.

هو: انت مخطئة يا مريم.. يا عزيزتي.. انا لا ابغضك ولا احقد عليك.. صدقيني.. انا ما زلت اكن لك كل الاحترام والحب.

هي: لا.. لا.. لن اصدقك.. لن اصدقك ابدا.

هو: آه.. يا الهي.. كيف السبيل اليك.. كيف السبيل الى اقناعك.

هي: لا سبيل. لا سبيل البتة.. والافضل لك ان تقلع عن كل محاولاتك.. وتعود من حيث جئت.

هو: واترك طفلتي تموت؟

هي: انت سبب موتها.. انت.. تقتلها..

هو: انا اقتل ابنتي..؟

هي: لانك تريد قتلي.. لا تتردد عن قتلها..

هو: اية افكار سافلة هذه.. من الذي حشا رأسك.. بهذه التفاهات

هي: تعرف جيدا.. انها الحبل السري الذي يشدني إلى الحياة.. وهي وحدها من احيا من اجلها.. وان اقتضى الامر اموت في سبيلها.. لذا جئت تقتطعها مني.. لتقضي علي.. ولكن لا.. يا دلير.. لا..

هو: أي جنون هذا ياالهي.. أي جنون..

هي: جنون أم.. ليس لها في الكون كله.. سوى ابنتها.. فاذهب يا دلير.. اذهب..

هو: لو كان ما ينبض بين ضلوعي، قلب وحش وليس قلب انسان لما طاوعني على فراق ابنتي وهي على هذه الحال.

هي: سآخذها إلى المستشفى بنفسي.

هو: خذيها اذن. ما الذي تنتظرين.

هي: سياتي جلال.. وناخذها معا.

هو: لا.. يا مريم.. لا.. لن اترك ابنتي بيد شخص غريب.

هي: جلال ليس غريبا. سيغدو زوجي بعد ايام.

هو: حتى ولو غدا اباك.. يبقى بالنسبة للطفلة شخصا غريبا..

هي: انه يقدسها.. يحبها اكثر من نفسه.

هو: لا احد يحب ابنة غيره اكثر من نفسه، ولا حتى بعض حبه لنفسه..

هي: ليس كل الناس على غرارك. لا تجعل من نفسك نموذجا لكل البشر.

هو: ماذا بي؟ ما عيبي؟

هي: انت لا تحب الاطفال.

هو: انا لا احب الاطفال؟ اية كذبة وضيعة هذه.

هي: هل تذكر.. كم سنة ابقيتني محرومة من الاطفال..

هو: لأني لم ارد لأطفالي ان يذلهم الفقر، مثلما اذلنا، لا سيما، بعد الديون التي اثقلت كاهلنا بسبب بناء البيت.. اردت ان نتريث بضع سنوات لعل حالنا تتحسن.. ويكون بوسعنا توفير حياة كريمة لهم.. ولنا..

هي: كنت تماطل.. وتماطل.. املا ان ابلغ سن اليأس ولا يعود بوسعي الانجاب.. واحرم الى الابد من متعة الاولاد.

هو: لقد تم كل شيء بالاتفاق معك.. ماذا جرى لك؟ لماذا تشوهين الحقائق.. الى هذا الحد..؟ ماذا تجديك كل هذه الاختلاقات؟.. اه.. لكم تغيرت يا مريم.. خلال عام الفراق الذي جثم بيننا.. حين استمع اليك يخيل الي اني استمع الى امرأة لا اعرفها.. ولم يسبق لي ان عرفتها..

هي: انت فعلا لا تعرفني.. ولم تحاول يوما ان تعرفني.. عشر سنوات معا.. عشناها.. غريبين..

هو: ربما.. ولكن الاوان لم يفت.. دائما ثمة وقت لمن يريد ان يبدأ.

هي: لا.. الاوان قد فات.. فات منذ زمن طويل (صوت بكاء الطفلة).

هو: شلير.. شلير تبكي يا مريم (يندفع نحو الداخل)

هي: (تقف بوجهه) دعها.. لا تقترب منها.. لقد حذرتك (تلوح بالمقص)

هو: بكاؤها يفتت الحجر.. اتكونين.. اصلد من الحجر؟ ما انت؟ أي ام انـــت؟ لـــم تكوني قط بهذه القسوة.. ما الذي جرى لك؟ هل انت جلادة تجلد نفسها من خلال تعذيب ابنتها (يزداد بكاء الطفلة) تنحى عن طريقي.. يـــا مريـــم.. لا تدعيني افعل ما نندم عليه كلانا مدى العمـــر (يتدافعـــان.. صـــراع غـــير متكافيء.. ينزع منها المقص.. يرميه بعيدا.. يهرع الى الداخل.. ترتمـــي على قدميه).

هي: (تتعلق به) اقتلني.. اقتلني يا دلير.. ولا تأخذ مني ابنتي..

هو: لن اخذها يا مريم.. صدقيني (يتخلص منها).

هي: (تزحف وراءه) لا.. اه.. لا.. لا..

هو: (خارجا والطفلة في احضانه) انظري.. باية حالة غدت الطفلة.. لقد خفـــت.. تيبست.. تقيأت احشاءها..

هي: (بضعف شديد) دلير.. لا تقتلني.. اعد لي ابنتي..

هو: ان كنت تحبين ابنتك حقا.. فالحقي بنا.. في المستشفى.. ابنتك فـــي امـــس الحاجة اليك.. هناك (يخرج، يتردد صوتـــه مـــن الخـــارج) تعـــالي الـــى المستشفى.. يا مريم.. اسرعي.. ارجوك..

هي: (تطلق صرخة هائلة) لا.. لا تخطفها يا مجرم لا تسرقها. سأســـلخ جلـــدك. اقضم عظامك.. اه.. دعها.. دع ابنتي.. ايها.. الوحش.. انها ابنتي انـــا.. اه.. ابنتي.. ابنتي.. ماذا افعل.ز لمن اتوجـــه.. اه.. اه.. انـــي اختنـــق..

الشرطة.. الشرطة.. لابد ان استنجد بالشرطة.. او.. او.. جــلال جــلال.. اين انت تهجم على التلفون.. بسرعة كبيرة. تدير رقمـا) عيـادة طبيـب؟ وماذا افعل بعيادة طبيب (تغلق التلفون) يا الهي رحمتك.. (تعصر رأسـها.. محاولة تذكر رقم تلفون جلال) جلال.. جلال (تدير القرص مرة اخرى) أين انت.؟ ماذا.. حل بك انت الاخر..؟ اجب.. هيا.. اجب.. هل خطفـوك انـت الاخر.. هل سرقوك.. اه.. اجب.. اجب يا هذا.. اجب.. (تلقي السـماعة؟) لا.. لا جدوى.. لمن اتوجه.. يا ربي (تتحرك بهسـتيريا هنـا وهنـاك. لا تدري ماذا تفعل.. تنتقل من التلفون الى الباب.. تفتحه.. تتفحص الطريـق. لا احد.. لا احد.. ماذا حل بك يا جلال.. ماذا حل بك (تغلق الباب، تعود الى التلفون تدير ارقاما اخرى. صوت سيارة تقف في الخارج. لا تنتبه. تبقـى منهمكة في محاولاتها مع التلفون يرن جرس الباب، تهرع الى الباب. مـن شدة ارتباكها تسقط على وجهه. تنهض بسرعة غير مبالية، تفتح البـاب. صارخة) جلال! لقد.. بعث الله بك في الوقت المناسب.. لتنفذني مما صـوت فيه، هيا.. يا جلال.. هيا (يهم هو بالدخول. بينما تدفعه هي الى الخـارج) هيا بنا.. هيا.. قبلما يفوت الاوان.. هيا.. هيا تحـرك.. لا تظـل واقفـا.. مخطوفا.ز مصعوقا..

هو: ماذا هناك.. يا مريم..؟

هي: هيا.. بنا.. هيا.. احكي لك كل شيء في الطريق.

هو: في الطريق.. الى اين.؟

هي: الى المستشفى.. الى جهنم.. الى أي مكان اختبا فيه.

هو: ولكن ماذا هناك.. يا مريم.. اخبريني..

هي: كارثة.. جلال.. كارثة.. حلت بي.. بك.. بابنتي.

هو: عن أي شيء تتكلمين؟ اية كارثة.

هي: كارثة زلزلت كياني.. انهارت الدنيا فوق رأسي.. (تجره) تعال.. تعال

هو: مريم.. هل انت بخير..؟

هي: كيف اكون بخير.. وقد ضاعت ابنتي..

هو: شلير؟ ضاعت..؟ كيف..؟

هي: خطفها.. سرقها.. امام عيني.. اه.. اه..

هو: مريم.. اهدأي.. ارجوك.. اهدأي.. واخبريني.

هي: اهدأ؟ كيف يعرف الهدوء طريقا الى قلب مفتت ضائع.. كيف؟ كيف؟

هو: (يمسك بها. يهزها) حبيبتي.. ارجوك..

هي: هيا.. يا جلال.. هيا.. نلحق به قبلما يهرب من المدينة.. تحرك يـــا رجـــل.. تحرك.. الست زوجي المقبل.. الست رجلي الذي اعول عليه.. مـــــا بـــالك استحلت صنما..

هو: مريم.. انا.. انا..

هي: انت فارسي.. انت بطلي.. اعد لي ابنتي.. اكن عبدتك الى الابد..

هو: من؟ من اخذ ابنتك.. من؟

هي: هو.. هو.. المجرم.. الجلاد..

هو: ولكن من هو.. عودي الى رشدك.. واخبريني.. اخبريني فقط..

هي: جلال اعد لي أبنتي.. اعد لي روحي التي انتزعها من بين ضلوعي.

هو: يا الهي.. فقط لو تخبرينني من هو.. اخبريني.. اخبريني.. (يهزها).. قبلمـــا افقد عقلي.. من؟ من اخذ شلير..

هي: دلير يا جلال.. دلير..

هو: ابوها؟ (يتخاذل)

هي: هو.. هو..

هو: (بفرح خفي) حضر؟ ابوها حضر؟

هي: ها قد عرفت.. هيا.. هيا بنا.. (تجره الى الخارج)

هو: على مهلك يا مريم.. على مهلك.

هي: يا لبرودك الصقيعي.. اسرع لنلحق بهما قبلما يختفيان.. واذ كنت لا تريد مساعدتي.. فتنح عن طريقي ودعني اتصرف..

هو: دعينا نفكر بترو يا مريم.. التهور والانفعال يقودان دائما الى الاخطاء.. التي لا يتمخض عنها الا المزيد من الاخطاء (يأتيها بقدح ماء.. يرش على وجهها.. يقدم لها القدح) خذي.. اشربي يا مريم.. اشربي.. اجلسي.. استريحي بعض الوقت..

هي: اجلس؟ استريح؟ وابنتي هناك.. مع خاطفها؟ ما الذي تقول؟

هو: لا بد ان ترتاحي يا حبيبتي.. ان هذا القدر من الانفعال يقضي عليك

هي: غياب ابنتي هو الذي يقضي علي.. واذا كنت حريصا على.. فاعد الى ابنتي.. ولا تظل تغرقني بمياه نصائحك الجليدية..

هو: (مستمرا في محاولات تهدئتها) في الصباح يا مريم.. في الصباح..

هي: (زاعقة) في الصباح؟ أي صباح ذلك الذي تتحدث عنه. ان ايامي كلها ستغدو ليلا دامسا.. حتى تشرق علي شمس شلير.

هو: لا موجب للقلق على شلير.. انها في رعاية ابيها.. انا واثق انه يرعاها.. خيرا منا.. كلينا

هي: قل خيرا مني.. ولا تقل منا..

هو: انه.. ابوها.. وهو..

هي: وانت..؟ انت لست ابوها.. ولا يمكن ان تكون اباها.. كان ينبغي ان اعرف

هذه الحقيقة.. وان لا.. انتظر.. او اتوقع منك أي عون.

هو: على العكس.. انا على استعداد ان..

هي: ان تغدق على المزيد من النصائح.. اتمهل.. اتروى.. اهدأ.. اليس كذلك؟ ان تقدم لي المزيد من السكاكين.. تقطع بها الوشائج بيني وبين ابنتـــي.. اه.. اه.. وا.. بنتاه.. ماذا افعل الان؟ ممن اطلب العون.. كل املي كان معقـــودا عليك.. يا جلال.. وانت.. وانت.. كأنك مخلوق مصنوع من الثلج.. ليتك لم تأت.. ليتني لم اعرفك.

هو: لا.. يا مريم.. لا.. يا حبيبتي.. لا تسيئي بي الظن.. ارجوك كل ما هنـالك انا اريد وادعوك الى التصرف.. بعقل.. و..

هي: (تردد كالغائبة عن الوعي) شلير.. حبيبتي.. شلير.. ابنتي.. ابنتي الوحيدة.. حياتي..

هو: (مترددا) الوحيدة.. حتى الان.. حتى.. الان.. يا مريم.

هي: (تنتبه) مـــ.. ماذا تقصد؟

هو: بعدما نتزوج.. ستكون لنا.. ابنتنا.. وربما اكـــثر مـــن بنـــت.. وولـــد.. و.. (تحدق به بغضب. يرتبك) و.. واذ ذاك.. اذاك.

هي: واذ ذاك ماذا يا جلال؟ ستعوضني عن شلير. ستمنحني البديل الذي ينســـيني شلير؟ اذلك ما تريد ان تقوله؟ (يتجنب نظراتها المسلطة عليـــــها) الكـــون كله.. لا يعوضني عن ظفر واحد من اظفار شلير العشرين.. يا جلال..

هو: (بعتب متودد) ما هذا الكلام.. يا مريم.. يا حبيبتي..

هي: تلك هي الحقيقة. واذ كنت تجهلها حتى الان.. فيتوجـــب عليـــك ان تعرفـــها جيدا.. وان تؤمن بها الى الابد.. لا احد في الوجود برمته يمكن ان يشـــغل، ناهيك ان يملأ، مكان شلير في قلبي.

هو: (مترددا) و.. و.. ولا.. حـ... حـ... حتى.. انا..

هي: ولا حتى الف واحد مثلك..

هو: (منتكسا) شكرا.. شكرا على اية حال..

هي: وانت.. انت بالذات ينبغي الا تجرؤ على مقارنـــة نفسـك بــها.. او.. او.. التفكير بمنافستها في أي شيء..

هو: انا.. بالذات؟ لماذا.. انا..

هي: (تقاطعه) انت تخليت عن كل وعودك، كذبت في كل كلمة قلتها..

هو: بل.. انا..

هي: (مقلدة نبرات صوته) ساكون لها افضل من الف اب.. ساحبها اكثر مما احب أي مخلوق في الدنيا.. اكثر مما احب حتى نفسي.. احقق لها كل رغباتـــها وطوحاتها.. اتوجها ملكة.. واكون عبدا.. لها الـــى الابـد (ثـم بصوتـــها الطبيعي) اليست تلك كلماتك؟ اليست تلك وعودك؟ حقـــا ان المحـــن تزيـد الواحد منا معرفة.. بالاخرين.. باقرب الناس اليه..

هو: ماذا تعنين..؟

هي: ماذا اعني؟ اتسألني بعد كل هذا ماذا عني؟ اه.. واخيبة املي فيك يا جـــلال.. واخيبة املي.. عزائي اني عرفتك قبلما يفوت الاوان.. حمدا لله.. حمـــدا.. لله..

هو: لا.. يا مريم. لا. انا لم اكذب عليك.. كنت اعني كل كلمة قلتها.. احبها اكـــثر من نفسي.. واكون لها الأب.. اما الآن وقد حضر أبوها فقد تغير الحـــال.. لابد ان تقري بان الحال قد تغيرت.

هي: (بنبرة ذات معنى) اجل تغيرت.. تغيرت كثيرا.. كثيرا جدا..

هو: ونحو الأفضل.. والأحسن.. والأسعد..

هي: (ساهمة) لا احد يحب ابنة غيره اكثر من نفســـه.. ولا حتـــى بعــض حبــه لنفسه، لقد قالها الرجل.. قالها بوضوح.

هو: انه.. أبوها.. وهو الأولى.. والأجدر..

هي: و.. انا..

هو: انت ستكونين لي.. لي وحدي.. لا احد ينازعني حبك، لا احد يشغلك عنـــي.. لا احد يشغلني عنك.. طائرين حرين منطلقيـــن فـــي فضـــاءات.. الحـــب والسعادة.. والامل.. والمستقبل.

هي: هذا الاحد الذي تتحدث عنه، كما لو كان غريما.. او عدوا لك هو ابنتـــي.. من لحمي ودمي واعصابي.. فيها تختزل امالي واحلامـــي.. بـــها.. بـــها وحدها. يتحقق وجودي ومنها استمد حياتي.. واسلسل ايامي.

هو: مريم حبيبتي.. ينبغي ان تكوني واقعية..

هي: واقعية..

هو: كنت ستتخلين عنها ذات يوم.. بذلك يقضي الشرع والقانون.. وها قد جـــاء ذلك اليوم، من تلقاء نفسه، الينا يسعى، وينبغي ان نرحب به.. ونحتفـــي.. بمقدمه..

هي: (تسد اذنيها) لا اصدق.. لا اصدق حرفا مما اســـمع.. اه.. اللـــهم اعنـــي.. ربي.. اعني

هو: (متواصلا مع افكاره) ولأكن صريحا معك.. يا حبيبتي.. ان ما كان.. يقلقنـــي في زواجنا.. ويربك كل مخططاتي ومشـــاريعي.. هـــو مصـــير الطفلـــة.. المجهول..

هي: آ.. آ.. المجهول..

هو: او.. لنقل غير الواضح.. اما الآن وقد توضح وبـــات معلومـــا.. واصبحنـــا

مطمئنين عليها.. وعلى مستقبلها.. فقد..

هي: (مقاطعة با نفعال شديد) فقد زالت عن طريقك العقبة الكأداء.. وقد انفتحت امامك الابواب على مصاريعها.. فتقدم ايها الفارس المغوار.. تقدم ايها الدعي المقنع بالصدق.. ايها المخادع المغطى بمسوح القديسين.. تقدم فالطريق امنة مأمونة. وقلب مريم، الفارغ. السهش.. مشرع الابواب.. فاقتحمه.. واقتحمها.. ايها الرعديد السارق ملابس الابطال.. (يحاول ان يتكلم) ولا كلمة اياك ان تفتح فاك بكلمة واحدة.. اخرج من بيتي.. لا تدنس عتبة داري بعد اليوم.. هيا.. هيا.. قبلما اقضي عليك..

هو: (مصعوقا) مريم.. هل جننت.. مريم..

هي: (تخطف المقص. تهجم عليه) قسما بشلير.. لو اريتني وجهك ثانية لـ...

هو: (يعدو خارجا بهلع شديد) مجنونة.. مجنونة..

هي: (تتصالب في موضعها.. يظلم المسرح. ثم يضاء. لم يتغير شيء. باقة الورد فوق شجيرات الاس. والمقص ملقى على الارض. كما كان الحال في البداية. هي غير موجودة يرن جرس الباب تخرج هي فزعة من غرفة الطفلة تفتح الباب. يدخل الطبيب وهو على اعتاب السبعين) دكتور مصطفى.. اهلا.. اهلا وسهلا..

الطبيب: كيف حال الطفلة؟ (يتاملها) بل كيف حالك انت؟ ما هذا الشحوب الغريب؟ (بمرح) من المريضة؟ ابنتي ام أبنتك؟ ام كلتاهما؟

هي: ابنتك بخير.. شلير.. هي المريضة.. تفضل.. تفضل.. الف شكر لمجيئك.. (تاخذ باقة الورد من فوق شجيرات الاس.. يدخلان غرفة الطفلة).

الطبيب: (صوته فقط) هل كنت.. نائمة.

هي: (صوتها فقط) نائمة؟ ربما.. وو.. وربما كنت في حياة اخرى!!